احمد فتحي باشا زغلول

لم يخل الخوان على حفلة التكريم التي اقيمت لهذا النابغة الذي خدم وطنهُ بما الفهُ وسرحهُ وترجمهُ من نفائس الكتب حتى قبض الى رحمة ربهِ واقيمت حفلة اخرى لتأبينهِ وقد اقترحت يوم وفاتهِ على صديق من اعرف الناس بهِ وهو حضرة مكرتيرهِ الفاضل صالح بك جودت ان يتحف المقتطف بترجمة وافية لهُ فاتحفنا الآن بالترجمة التالية قال

ترجمة الفقيد

من الصور التي يحفظها التاريخ جيلاً بعد جيل لما لها من المكانة في عصرها ولما كان لاربابها من الاثر في احوال البلاد صورة المرحوم احمد فتحي زغلول باشا

كان احمد فتحي باشا صورة ممتازة من وجهة الاخلاق ومن وجهة الكفاءة العلمية

كان قوي الارادة ثابت العزيمة مع لين في الجانب ولطف في المعاملة . عرف ذلك منهُ كل من عاشرهُ او عاملهُ . وهي صفات مع تناقضها الظاهر تدلُّ على ان نفس صاحبها من تلك النفوس الابية الكريمة التوَّاقة الى المعالي مع الرضا بالحاضر والمتغلبة على الدهر مع الرضوخ للمقادير . من تلك النفوس الشديدة في طلب الحق الى حد القسوة والمتأثرة بآلام الناس الى حد التفاني في الرحمة

وكان ذا ذكاء يغنيهِ في كثير من الامور عن تعرُّف الشيء او العلم باصولهِ ويكاد يخترق حجب الضمائر فيعلم ما بنفس محدثهِ

روى مسيو لبلان ناظر مدرسة الفنون الجميلة قال «زار فتحي باشا زغلول ذات يوم المدرسة التي أُدير شؤونها فمر في قاعات الرسم والنقش والحفر فكان يعجب بما يستحقُّ الاعجاب وينتقد من دقائق الاعمال مالا يدرك اسرارهُ الاَّ اولو العلم الراسخون فعجبتُ من مقدرة هذا الرجل لما علمت انهُ لم يدرس شيئاً من الفنون الجميلة ولم يلمَّ بشيء من مبادئها »

تلك هي نفس فتحي باشا التي دقت فاحاطت بجزئيات الجمال وكلياتهِ ورق شعورها فادركت مواضع النقص في كل ما تسمع او ترى

وكان سريع البداهة حاضر الجواب يغنيهِ التلميح عن التصريح . وكان بالرغم من تلك البداهة اصيل الرأي يحتشرهُ ذلك لان نفسهُ كانت لا ترى الاَّ الجانب الاليق من الامور وتحيط بسرعة البرق بما قد يساور الامر من الملاحظات فكان نقاداً حريصاً صائب الرأي

معتدلاً فيهِ لا يحكم عن هوى في نفسهِ لان نفسهُ كانت تجرد من شخصيتها كلما عرض عليها امر منطقي للعقل شأن فيهِ

وكان رحمهُ الله متواضعاً يطلب المزيد من العلم ولا يدَّعي قط علم ما لم يعلم ويأخذ على نفسهِ سرعة بداهتهِ فيهما تواضعاً منهُ احياناً واكثر ما يظهر ذلك في كتابتهِ اذ كان فكرهُ يسبق قلمهُ احياناً فلا يجوز كاتبهُ تلك سجيتهِ عن بعض زلات القلم المادية

وكان من ميزتهِ عليهِ رضوان الله ان الفكرة اذا تكونت في رأسهِ انقادت اليهِ الالفاظ واستسلمت لهُ التراكيب فلا تلبث ان تصدر الفكرة في ثوب قشيب من لفظ جلي واضح وتركيب سلس منسجم وهذا سر ابداعهِ في ما كتب او ترجم والتأليف والتعريب في ذلك سيان وطالما بلغ في تعريبهِ منزلة من حسن التعبير لم يبلغها مؤلف الاصل واكثر ما يظهر ذلك في الكتيب الذي عربهُ قبيل وفاتهِ (جوامع الكلم)

وقبل ان اختم الكلام في صفات المرحوم فتحي باشا يحتم عليَّ الحق الذي كان هو خادمهُ الامين ان اقول كلمة للتاريخ انا عليها شهيد

لقد كان فتحي باشا محبًّا لبلادهِ مخلصاً لامتهِ متفانياً في خدمة اميرهِ يعلم ذلك كل من عاشرهُ واختلى بهِ يحادثهُ في مجالسهِ الخاصة او اطَّلع على بعض مذكراتهِ الخصوصية

ان في حياة الكثيرين ممن يولون الاحكام في مثل الظروف السياسية التي تحف بدولة او حكومة مثل مصر وحكومتها اسراراً تغيب عن سواد الامة وقد يؤولها بعض من لا تبعة عليهم ولا مسئولية على ما تشتهيهِ انفسهم او تصل اليهِ مدارکهم. ويكون الذي اساؤوا بهِ ظناً قد افرغ ما في جعبة قدرتهِ في سبيل الدفاع عن مصلحة امتهِ

***

ولد فتح الله صبري (اسم المترجم الاصلي) في ٢٢ فبراير سنة ١٨٦٣ بابيان من بلاد الارز غرباً في شمال مديرية الغربية من ابوين كريمين ينتسب ابوهُ لعائلة زغلول ووالدتهُ لعائلة بركات الشهيرتين في تلك الجهات

وتلقى فتح الله صبري علومهُ الاولى بمصر ثم لما ظهرت نجابتهُ لناظر المعارف سماهُ (احمد) باسمهِ واختار لهُ من الالقاب فتحي واوفدهُ الى الديار الاوربية ليتم بها علومهُ فكان لا يلهيهِ الدرس عن الاهتمام بالآداب وموافاة اخيهِ سعد بما يكتب او يعرب

واستمرَّ في الاشتغال بالعلوم والآداب بعد دخولهِ خدمة الحكومة المصرية سنة ١٨٨٧ فاخرج للناس ترجمة كتاب بنتام في (اصول الشرائع) سنة ١٨٩٢ ووضع رسالة في التزوير

في الاوراق سنة ٨٩٥ . وعرّب كتاب خواطر وسوانح في الاسلام لفكونت هنري ده كستري سنة ١٨٩٧ . وفي سنة ١٨٩٩ ظهر تعريبهُ كتاب ادمون ديمولان (سر تقدم الانكليز السكسونيين) ومنذ ظهر هذا الكتاب عُرف احمد فتحي زغلول بصفته كاتباً اجتماعيًّا ولا نبالغ اذا قلنا ان هذا الكتاب كان من عوامل تطوُّر الامة في احوالها الاجتماعية في هذا العصر . وفي سنة ١٩٠٠ ظهر كتاب المحاماة جمعهُ ووضعهُ المرحوم فتحي باشا فكان ابدع صفحة كتبت عن تاريخ القضاء والمحاماة بمصر في العهد الاخير . ومنذ سنة ١٩٠٨ علق بدراسة كتب جوستان لبون وتشبع بافكاره وتشيَّع لمذاهبهِ الفلسفية فاخذ ينقل ما كتب هذا الحكيم الى اللغة العربية وبدأ بكتاب روح الاجتماع (سنة ١٩٠٩) ثم تلاهُ كتاب سر تطور الامم سنة ١٩١٣

وفي السنة التي ظهر فيها هذا السفر الاخير وضع فتحي باشا لامته (شرح القانون المدني) وهو شرح موجز لاحكام هذا القانون ولكنهُ غني بالعبارات العربية الفصحى والمقابلات القانونية المفيدة ومما لا شك فيهِ انهُ أثر من الآثار الخالدة في تمشية اللغة العربية على مطالب العصر الحاضر

وللمرحوم فتحي باشا غير ما ذكر ترجمة رسالة كتبها المرحوم مصطفى فاضل باشا سنة ١٨٦٦ الى السلطان عبد العزيز ينصحهُ فيها ويحذرهُ وقد اصبحت تلك الرسالة لعذوبتها بالعربية من كتب الادب التي تقتنى وتحفظ

وكان رحمهُ الله شغوفًا بالعلم والادب يوقف عليهما اوقات فراغهِ بل واوقات راحتهِ ان لم تقرر الحقائق فتقول اوقات مرضهِ فطالما اخرج كتبًا مفيدة للناس مغتنماً تحريرها ايام العطلة من الاعمال الرسمية او ايام يجيئهُ المرض بين جدران غرفتهِ

ولا تنسى الامة المصرية وحكومتها ما لفتحي باشا من الايدي البيضاء المذكورة بالثناء في سبيل اصلاح معهدين من المعاهد الكبرى التي يقوم عليها بناة الاسلام لانها موئل فخر الملة وهما المحاكم الشرعية والجامع الازهر

لقد أبلى فتحي باشا في سبيل اصلاح هذين المعهدين بلاءً حسناً فكم بحث ونقب ورجع ورتب وحادث واستشار ووقف مواقف مشهودة انتصاراً للحق وتأييداً للاصلاح حتى صار لا يذكر اسمهُ الاَّ مقروناً بمالهُ من الفضل في هذا السبيل

***

وخدم فتحي باشا القضاء المصري خدمة تذكر . فتشكر عين ساعداً بقلم قضايا الداخلية

سنة ١٨٨٧ . فرئيساً لنيابة اسيوط سنة ١٨٨٩ . فرئيساً للنيابات بالوجه البحري فمندوباً في لجنة المراقبة القضائية سنة ١٨٩٣ . وفي تلك السنة نقل رئيساً لمحكمة المنصورة الاهلية ثم رئيساً لمحكمة مصر الابتدائية الاهلية سنة ١٨٩٦ الى سنة ١٩٠٧ وكان في جميع ادوار حياته القضائية مثال الجد والاستقامة والذكاء وحسن الادارة وله من بديع الاحكام ما يصلح ان يكون نبراساً للقضاء

وطال عليه العهد في رئاسة محكمة مصر وهو صابر يرى من كان خلفه من الاقران يسبقه الى الوظائف الكبرى ولا يبدي شكوى حتى علم فضله وذاع نبله فولته الحكومة مركز وكيل نظارة الحقانية سنة ١٩٠٧ ولبث فيه الى ان انتقل الى رحمة الله في ٢٧ مارس سنة ١٩١٤

وقد عرف رجال العلم والادب فضل المترجم فاقاموا له في ٢٧ يونيو سنة ١٩١٣ حفلة تكريم عظيمة بدار الجامعة المصرية حضرها العلماء والادباء ورجال القضائين الاهلي والشرعي وقدموا له فيها مجموعة اعماله مجلدة اتنص جلد كما احتفلوا بتكريم ذكره في حفلة اخرى اقاموها لتأبينه بدار الاوبرا الخديوية في ٨ مايو سنة ١٩١٤ بمناسبة اربعين يوماً على وفاته واشترك في رثائه بها الوزراء والامراء كما اشترك في الحزن عليه كل مصري

هذه هي حياة فتحي القصيرة في مداها الجزيلة باعماله ننشرها لتكون قدوة لمن اراد بعده ان يكون مثله نفر امته الخالد الذكر الطيب الاثر صالح جودت

حفلة التأبين

كانت حفلة التكريم في الجامعة المصرية اما حفلة التأبين فاختيرت لها الاوبرا الخديوية لانها ارحب جداً ولا يصح ان يحرم من الاشتراك في هذه الحفلة مئات من مريدي الفقيد فحضرها الامراء من البيت الخديوي الكريم ونظار الحكومة المصرية الحاليون والسابقون ورئيس الجمعية التشريعية واعضاؤها ووكلاء النظارات ومستشارو محكمة الاستئناف ورجال القضاء والنيابة وكبار العلماء وسائر رجال العلم والفضل من سكان العاصمة والاقاليم . ورأس الحفلة عطوفة حسين باشا رشدي رئيس النظار فافتتحها بكلام وجيز قال فيه

« افتتح هذه الحفلة وفؤادي ملؤه الاسف لارتحال ذلك الرجل الجليل احمد فتحي زغلول باشا الذي تعد وفاته خسارة عظمى على هذا البلد

« فان كنتم قد اجتمعتم اليوم مدفوعين بما يمليه عليكم الوجدان لتمجيد ذكراه وتعداد مناقبه

وما تزوم فانما انتم تدلون بعملكم هذا على ما كان للفقيد من المكانة الرفيعة في نفوسكم وعلى انكم تعرفون اقدار الرجال

« اشتغلت انا والفقيد في نظارة الحقانية زماناً طويلاً كان فيه ساعدي اليمين . وكان لي نعم المعين . وياليتني كنت افتتح اليوم هذه الحفلة لا لتأبينه بل لتكريمه حيًّا ومستمرًّا على تأدية خدماته الجليلة لوطنه فانهُ والحق يقال كان من اكبر مفاخر الرقي العقلي في وادي النيل »

وتلاهُ سعادة عبد الخالق باشا ثروت ناظر الحقانية بالتأبين التالي

ألا كل شيء ما خلا الله باطلُ وكل نعيم لا محالة زائلُ

باطل هذه الدنيا بما فيها . واكبر باطل فيها الحياة كالبرق خلاب بشدة السنى فاذا الظلام في عقبه اوادنى . وقلما يفكر الاحياء في هذه الحقائق الوهاجة او يتدبرونها الاَّ اذا مضى رجل منهم كبير بعمله كبير بآثاره

لمثل ذلك اجتمع هذا الجمع . اجتمع ليذكر رجلاً كبيراً قضى نحبهُ لا لحتف انفهِ ولكن في جهاد عظيم وقتال كبير . وليس لعمري دمهُ الاَّ ذلك المداد الغزير الذي اجراهُ سيف القلم على صفحات المصنفات التي افاء الله بها عليهِ من المعرب والمنشأ . اريد المرحوم احمد فتحي زغلول . ليس ادل على ان هذا الرجل نابغة من اعتراف فضلاء الامة لهُ بالفضل ولا تزال اصواتهم ترن في آذاننا لقرب عهدنا باجتماعهم تكريمًا لهُ واجلالاً لاعمالهِ

احتفلوا بالامس بفضلهِ واجتمعنا اليوم لتأبينهِ . لا غرابة فالعواصف لا تصيب الاَّ الاشجار الباسقة والصواعق لا تنقض الاَّ على ما تسامى فوق الناس الى السماء

والموت نقَّاد على كفهِ جواهر يختار منها الحسان

توفي المرحوم فتحي باشا ولو ان للهمة شفاعة او لو ان العزيمة تقيل عدلاً لكان اول الخالدين ولكنهُ هذا امر الله ولا رادَّ لما قضى

لو اردت ان اوفي الرجل حقهُ من الوصف لما وسعني وقت ولا استغنيت بقلمي ولساني وحسبهُ رحمهُ الله ألسنة الخلق واقلام الحق فقد وضعوهُ الموضع الذي هو بهِ جدير

لقد كان لهُ في كل ميدان فرس رهان وكان كما يقولون رجلاً جامعاً . رجلاً عموميًّا . نبغ في المعقول والمنقول معاً . فمن الادب الجم تزينهُ البلاغة ويزينهُ المنطق الصحيح الى العلم الغزير تثبتهُ الحنكة وتؤيدهُ قوة العارضة الى صفات نادرة في تصريف الامور

كان كاتباً يرقص الارواح بكتابتهِ طرباً وخطيباً لو قام بين وحوش عز الضاريات

الحنان . كانت لهُ يدٌ طولى وذوق سليم في كل شيء يجمع الى هذا كله شغفاً غريباً بحسن التنسيق والتنظيم

ليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد

ليس قصدي ان اشرح حياة الرجل كلها فهذا ما ليس في فيهِ مطمع وانما اردت ان اذكر ما يجعلهُ المقام من ذلك . اردت ان يعرض قومهُ جنودهُ التي جاهد بها وعددهُ التي اعتد بها كما تعرض الجيوش في لحظة ليتعرفوا لمَ لان لقوتهِ صلب المعضلات واستقامت لغمزتهِ قناة المشكلات

ثم اقول كلمة مجملة في حياتهِ القضائية

اول ما تولى فتحي باشا من الوظائف وظيفة في قلم قضايا الحكومة اقام فيها مدة اظهر فيها على قصرها كفاءة وجهت اليهِ الانظار . لذلك وقع عليهِ الاختيار لرئاسة النيابة بمديرية بدء انشاء المحاكم الاهلية في الوجه القبلي والعهد اذ ذاك عهد تنازع بين القضاء والسلطات الاخرى . لذلك كان مركزهُ محفوفاً بالمصاعب ولكن فتحي باشا عرف بمهارتهِ كيف يمهد العقبات ويرفع شأن القضاء حتى كان لهُ على يدهِ المقام الذي ينبغي لهُ

بعد ذلك عين رئيساً لنيابة الاسكندرية فكان عضواً بحكم القانون في المجلس البلدي فكان رحمهُ الله رفيع المقام عزيز الجانب في هذه الهيئة التي هي جماع الكفاءات الاوربية والوطنية فشرف مصر والمصريين في هذا الوسط كما شرفهم في وظيفتهِ الاصلية . ثم شرفهم ورفع شأنهم يوم كان الناس يتقاطرون افواجاً الى المحكمة اذا ما انبرى للمرافعة . شرفهم يوم اشتد التزاحم لسماع مرافعاتهِ حتى اضطروا الى اتخاذ وسائل خاصة للمحافظة على النظام . انتدب بعد ذلك مفتشاً في لجنة المراقبة القضائية ثم عين بعد قليل رئيساً لمحكمة الزقازيق ثم رئيساً لمحكمة مصر الاهلية وهو في كل هذه الوظائف مثال الكفاءة والبراعة والحذق

لم اكن الى ذلك العهد اعرف منهُ الاَّ ما يعرفهُ الكافة بالسماع فما اتيح لي قط من قبل ان اجتمع بهِ فاقدرهُ . فلما عين في مصر وكنت اذ ذاك مفتشاً في لجنة المراقبة تعارفنا بحكم وظائفنا . هناك عرفت انهُ ما راءٍ كمن سمع وانكشفت لي حقيقة ذلك الرجل الفرد الذي هو الآن بشهرتهِ واعمالهِ وآثارهِ في غنى عن وصف الواصفين . تولى رئاسة محكمة مصر فكان فيها آية في القضاء . آية في حسن الادارة حتى كان تداخل النظارة في امورها النظامية يكاد يكون معدوماً جملة . بقي في تلك الوظيفة الى ان عين وكيلاً لنظارة الحقانية وكانت هذه آخر عهد لهُ بالوظائف

ان حياة فتحي باشا وهو وكيل الحقانية حافلة بالاعمال الجليلة . ولست ابالغ اذا قلت ان جهادهُ في عام من اعوامها يقصر دونهُ جهاد رجال في اعوام . لم يقصر همتهُ على اعمالها الكثيرة العظيمة بل كنت تجدهُ عاملاً في كل شأن من الشؤون العامة الهامة

لهُ في نظارة الحقانية فضل المشاركة والمعاونة في وضع كل القوانين التي وضعت في عهدهِ . وهي كثيرة وفي الدرجة الاولى من الاهمية . واليهِ وحدهُ يرجع الفضل كلهُ في وضع قوانين المحاكم الشرعية التي يدعم عليها نظامها الحالي ولولا همتهُ التي لا يفتريها الكلال وعزيمتهُ التي لا يتطرق اليها الملال لما كانت الآن تلك المحاكم الا كما كانت عليهِ قبل نظامها الحالي . كذلك كانت لهُ اليد البيضاء والفضل الاول في النظام الحالي للمعاهد الدينية فان الجناب العالي لما توجهت انظارهُ الكريمة الى اصلاح تلك المعاهد عهد حفظهُ الله في وضع نظام جديد لها الى لجنة شكلت تحت رئاسة الفقيد ومن زميلي صدقي باشا ناظر الزراعة الآن ومني . واني لاؤدي ديناً عليَّ وعلى زميلي باعترافي الآن على هذا الملاء بان فتحي باشا رحمهُ الله هو وحدهُ صاحب الفضل في كل ما وضع من النظامات الجارية عليها الآن هذه المعاهد . لم تنتهِ تلك الاعمال الكثيرة والمشاغل الجمة الا وقد اضنت جسمهُ واضعفت قوتهُ عما عود عليهِ امتهُ من خدمتها بالتأليف والتعريب — وكان آخر عهدها بنشأت هذا القلم القادر البليغ هذا المصنف الجليل الذي وضعهُ في شرح القانون المدني حياة كلها جهاد وعمل لم يوفَّ فيها عقلهُ وجسمهُ قسطها من الراحة مدفوعاً الى ذلك بعوامل فطرتهِ مغالباً نواميس الطبيعة . دفعتهُ نفسهُ الكبيرة الى مغالبتها وسلطانها شديد لا يغالب وقوي لا يعاند . فكأن الدهر اشفق عليهِ من نفسهِ فتصدهُ ليريح جسمهُ الضئيل من مطامح نفسهِ الكبيرة

ضجعة الموت رقدة يستريح الـ ـجسم فيها والعيش مثل السهاد

فعليهِ الرحمة والرضوان والى مصر الحزينة وبنيها العزاء

ثم تعاقب الخطباء وهم حضرات محمود بك ابو النصر فأبن الفقيد وذكر عملهُ وعملهُ ومزاياهُ الفاضلة التي اتخذها عدتهُ في عملهِ وقوّاها بصدق عزيمتهِ وقال انهُ كان رحمهُ الله كاتباً مجيداً يكتب العبارات المنسجمة ويأتي بالسهل الممتنع وخطيباً بليغاً وقاضياً عادلاً في كرسي القضاء يجمع في احكامهِ بين العدالة والقانون . وزد على ذلك انهُ كان ايضاً من نوابغ رجال الادارة يسعى الى انجاح امتهِ من طريق العلم والعمل وقد وقف حياتهُ على مقاومة آفتين آفة جهل قيمة الوقت وآفة عبودية الشهوة

وتلاهُ حسن بك عبد الرازق فرثاهُ احسن رثاء بلسان الجمعية الخيرية الاسلامية وقال

انهُ كان لهُ اليد الطولى في تكوين هذه الجمعية وكان عضواً فيها منذ نشأتها الى ان فاضت روحهُ الى خالقها وكان مختصاً في خدمتها فحدد التلامذة الذين تلقوا العلوم في مدارسها والفقراء الذين عاشوا بصدقاتها

وابنهُ الاستاذ احمد بك لطفي السيد نائباً عن الصحافة ورجال الادب فذكر تاريخ الفقيد من حين نشأتهِ وخلاصة المبادىء الفلسفية والاراء العلمية والقواعد الاجتماعية التي جرى عليها في تأليف كتبهِ وبثها فيها لافادة ابناء وطنهِ

ثم تبارى الشعراء في الرثاء فانبروا للسامعين ان الشعر للعربية والعربية للشعر واوقعهُ في النفوس الرثاء . فتلا حضرة حسن بك نبيه من قضاة المحاكم الاهلية مرثاة كلها غرر ودرر ونهض بعدهُ حضرة الشيخ عمر المنقباري فتلا قصيدة غامرة من نظم الشاعر المشهور السيد عبد المحسن الكاظمي . ثم حضرة الشيخ محمد عبد المطلب المدرس بمدرسة القضاء الشرعي فانشد مرثاة بليغة . واخيراً نهض شاعر مصر والشام خليل افندي مطران وختم التأبين بمرثاة غامرة الابيات مثيرة للحسرات

وشخصت الابصار حينئذٍ الى شقيق الفقيد العلامة الكبير صاحب السعادة سعد باشا زغلول فتقدم بقدم مرتجفة وحاول الكلام وهو الخطيب المصقع فخنقتهُ العبرات واخيراً لفظ الكلمات التالية « اشكركم على مجاملتكم لنا في هذا المصاب الاليم واسأل الله ان لا يريكم مكروهاً » . فكانت دموعهُ اول دليل على هذا الشكر وعلى شعورهِ بمشاركة الجميع لهُ في هذا المصاب

مرثاة حسن بك نبيه المصري

نقمت على الدنيا وقد ضاق مذهبي ... وعفت حياة صفوها برق خلبِ
تساق البرايا كالقطيع للردى ... يحثهمُ ان أبطأوا صيح مجلبِ
وحوض المنايا مورد قد تزاحمت ... عليهِ مكاري متكاً فوق منكبِ
تخاطرنا الايام وهي حياتنا ... وتصرعنا طوراً ونحن بملعبِ
قضى وكذا تقضي العباد جميعها ... وما المرء عن مرمى الردى بمعجبِ
وما الصحب والاهلون والمال والقوى ... بقادرةٍ يوماً على رد مذهبِ
فاذا دهى مصراً ونجم سماؤها ... تساقط منها كوكب بعد كوكبِ
كأن زمان السوء راصد نجمها ... يعد نبالـ الكارثات بمرقبِ

اذا نال نجم في الكمال تمامهُ رماهُ على عمدٍ بسهم مذرَّبِ
حذار ان تهوى هداة بلادنا فتغرق في موج العنا المتركبِ
الا تحفلُ البلوى وتدعى رؤوسنا لتخرج يوماً من عناء وغيهبِ
أفي كل يوم نبتلى برزية تدك لها دكاً قواعد اخشبِ
أفي كل يوم وقفة تذهل النهى على فاضل ذخر لمصر محببِ
أفي كل يوم حسرة توهن القوى يراق لها دمع الكرام بتندبِ
ودمع ودمع من جفون قريحة وجرح وجرح في فؤاد معذبِ
فدونك دمعي في قريضي نظمتهُ ولولاك لم انشد ولم يتصببِ
اعاهد دهري انني لن ازالهُ على غيرها يوماً بلفظ مؤنبِ
فمن يتخذ ظلم الخلائق عادةً اذا لجّهُ في الامر يزدد ويغضبِ
اصابك مثلول اليمين بطعنةٍ بجوهرةٍ لم تعطِ رأساً وتوهبِ
فيا ليتها صابت من الناس من تشا فداءً ولم تعثر به ام جندبِ
وكان كحد السيف ليس لسلة ومن يعشق العليا يعان ويتعبِ
يكاد يرى سر النفوس وما خفى ببرق ذكاء ثاقب متلهبِ
ارى الشب مشكاة من العلم زيتها كفى الفضل زيتاً من نقي مهذبِ
عفيف طموح للمعالي مجدهِ كريم السجايا لا يذل لمطلبِ
ولم يركب الذل ابتغاء عطائها ابيٌّ بغير الفضل لم يتقربِ
وما كان من يسجدون لمشرقٍ ولا يتولى عن كرامة مغربِ
اذا انت لم تبلغ مرامك في العلا بجدٍّ ولم تجلس بارفع منصبِ
فكم زهرةٍ زهراء ضاع عبيرها فبثت وضاعت في مجاهل سبسبِ
ولو اسعد المقدار كانت فريدةً باكيل حسنا او بكف مخضبِ
وكم درة في قاع بحر دفينة تقاذفها في الصخر امواج عوطبِ
ولو انصف المقدور كانت يتيمة بجيد عروس او بتاج محجبِ
اذا انت لم تترك بنات يضورها وينهشها قط بناب ومخلبِ
تركت بنات الفكر بين ربوعنا معززة من ناشئين وشيبِ
اذا كنت فتحي بالامامين ثاوياً فذكرك لم يدفن ولم يتغيبِ
وقد كنت روح الاجتماع خطيبهُ متى تقرع الاسماع للب تخلبِ

وعلمنا سر التقدم للعلا مقياساً لنا نهجاً بأشل مضرب
كفاك جهاداً في حياة كريمة فنم في نعيم دائم البال طيب
وثق بجزاء المصلحين واجرهم وانك عند الله خير مقرّب
وصبراً جميلاً للقضاء وحكمهِ فليس لحكم الله امر معقب

مرثاة خليل افندي مطران

ايها المغتدي عليك السلامُ هكذا يُبكرُ الرجالُ العظامُ
غاضَ من روعهِ لمصرعك النيلُ وغضّت من عُجبها الاهرامُ
ويحَ مصرٍ عليك ماذا دهاها في فتاها ومَن فتاها عِصامُ
طالتِ الفترةُ العبوسُ عليها قبل أن جاء عهدُك البسامُ
عجبٌ ان تكون آيتها الكبرى والاّ تصونك الايامُ
اخلفي يا سماءُ ما شئتِ من نجمٍ سيقتصُّ من سناكِ الظلامُ
حظُّ مصرٍ قضى بان تخلُدَ الآثـ ـارُ فيها وتهوِيَ الاعلامُ
ذهبَ النابغون لم يُغنَ منهم عالمٌ او مجاهدٌ او إمامُ
وكأني بخطبِ أحمدَ لم يُبقِ مدًى للأسى . أذاكَ الختامُ

من يُعزي كنانةً عن سهام فقدتها وفي حشاها السهامُ
ما لأمّ البنين سلوى وان كا نوا كثيراً اذا تولى الكرامُ
جلّ رزء البلاد في عبقريٍ حلّ منها مكانةً لا تُرام
عاش يرمي الى مرام وحيدٍ وسلاحُ البلاد ذاك المرامُ
كان صمصامها اذا التمس الرأ يُ وأعيى من دونهِ الصمصامُ
كان مقدامها اذا أعضلَ الامرُ فلم يضطلع بهِ مقدامُ
كان ما شاءتِ الفضائلُ في حا لٍ فحالٍ وما اقتضاهُ المقامُ
فهو العاملُ المسهّدُ في التحصيلِ والقومُ هادئونَ نيامُ
وهو الكاتب الذي ينثرُ الدُّرَّ لهُ روعةٌ وفيهِ انسجامُ
وهو العالم الذي يُسلِسُ الصعبَ فلا شبهةٌ ولا إبهامُ
وهو الفيصلُ الذي تؤخذُ الحكمةُ عنهُ وتؤثرُ الاحكامُ
وهو المقوّلُ الذي يُطربُ السمعَ ويبدو في لحظهِ الإلمامُ

أحدُ الفرقدينِ من آلِ زغلو ... لَ وحسبُ الفخارِ مجدٌ تُؤامُ

ايُّ اوصافهِ أُعدِّد والشي ... ءُ كثيرٌ يقلُّ فيهِ الكلامُ
بين كرامهِ وآمالنا فيهِ وبين التأبين لم يخلُ عامُ
كل تلك الحامدِ الغُرِّ باتت ... واستقرَّت تلك المساعي الجسامُ
واستعضنا من العيون بآثا ... رٍ فللهِ ما جناهُ الحمامُ

بابُ تدبيرِ المنزل

قد قصدنا بهذا الباب الكلي تدبير كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتسيير الطعام والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

النباتات الاهلية وفوائدها الطبية

الانيسون النجمي F. Badiane, L. Anisum satellatum هو ثمر شجرة كبيرة في الصين كثير الاستعمال في الطب مقوياً للمعدة ومضافاً الى التراكيب الدوائية لتحسين طعمها

البابونج A. Camomil, F. Camomille, L. Anthemis عشبة من الفصيلة المركبة برية في سورية ومزروعة في اوربا ذات رائحة عطرية قوية ومقبولة وطعم حاد حريف قليلاً كثيرة الاستعمال والنفع فتعطى معرقاً في الحيات وتفيد في المغص والنزلات الصدرية والآلام المسببة من البرد وغير ذلك

البجور - انظر لبان

البرتقان A. Orange, F. Orange, L. Aurantium ثمر شجرة من الفصيلة النارنجية لذيذ الطعم جزيل الفائدة فما يقع منهُ عن أمهِ صغيراً بعد الازهار يحضر منهُ صبغة عطرية مقوية للمعدة وحبوب او حمصات لتشغيل الكي . ويؤخذ من قشرهِ زيت طيار يفيد في تسكين الآلام العصبية وهذا اذا وضع القشر على الصدغين وكان السطح الاصفر الى الجلد سكن ألم الرأس المتسبب عن النقرا الجيا او غيرها من اسباب الالم العارضة

اما الزهر فيستخرج منهُ بالاستقطار الماء المشهور بذكاء رائحتهِ ونفعهِ في تقوية المعدة